نحو تحقيق مخطوط " شرح القصيدة الخزرجية في علم العروض والقافية لأبي القاسم الفتوح عيسى بن أحمد الصنهاجي "

إعداد: وزار سليمان

جامعة تلمسان

تمهيد

من الواجب علينا كأمة عربية، كانت رائدة وسائدة على سائر الأمم أن نسترجع التاريخ، لنتعلم من أسلافنا كيف فعلوا حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ونحاول أن ننتهج نهجهم، ونحدو حدوهم لنصنع ما صنعوه من أمجاد، ونجد ونكد لنصير كما صاروا أسيادا. إنهم حقا رجالا عربا أعرابا، كسروا شوكة الفرس والروم، وفكوا شيفرة الطب والصيدلة ومختلف العلوم.

لقد اهتم أجدادنا بكل جوانب الحياة، ولم يهملوا أي جانب منها. فقد وفقوا بين الدين والدنيا، بين العمل والعلم، وبين العلوم العقلية والعلوم النقلية. فترى ابن سينا يبدع في الطب والفلك والفلسفة، وترى ابن خلدون يبدع في التاريخ وعلم الاجتماع الذي لم يذكره الذاكرون آنذاك، وترى... ، وترى....، وترى.....

إنهم حقا جيل يحق لهم أن يفتخروا بأنفسهم، ونحن يحق لنا أن نتأسف على ما وصلنا إليه من انحطاط وتخلف. كان الغرب يأخذ عنهم العلوم، فأصبحنا نأخذ نحن عنهم. لم يبق لنا سوى الافتخار بالماضي، والتلفظ بعبارة: " كنا نحن العرب والمسلمون" لكن الشاعر يقول:

ليس الفتى من يقول كان أبي إن الفتى من يقول ها أنا ذا

هذا هو بيت القصيد، يجب علينا أن لا نبقى مكتوفي الأيدي، مستسلمين، وانهزاميين، يتوجب علينا دراسة حضارة أجدادنا و استخلاص الدروس والعبر، لماذا تطوروا وتخلفنا؟

لماذا قووا وضعفنا؟، لماذا أبدعوا واخترعوا وتخلفنا؟.

للإجابة على هذه الأسئلة يستوجب علينا العودة إلى تراثهم وما خلفوه لنا، عسى أن نجد بصيص أمل ننطلق منه لنصل إلى ما وصلوا إليه.

يستوجب علينا دراسة علومهم ، التي استفاد منها غيرنا وهم الآن يسوقونها لنا ، فهناك العديد من الكنوز العلمية بشتى أنواعها التي لا تزال ليومنا هذا متوزعة عبر مكتبات العالم علينا الاهتمام بها ودراستها. من بين هذه الكنوز المخطوطات التي يلزمنا الاهتمام بها وتحقيقها والاستفادة مما خلفه لنا أسلافنا.

وعلى ذكر المخطوطات وتحقيقها ، ارتأيت أن أقوم في دراستي هذه بتحقيق مخطوط، علّني أساهم ولو بجزء بسيط في إحياء هذا التراث العربي والإسلامي وإخراج نصوص هذه المخطوطات إلى النور.

المؤلف وعصره:

الحياة السياسية في عصر المؤلف:

قامت الدولة المرينية على أنقاض دولة الموحدين، فقد حكم بنو مرين في المغرب الأقصى، وقد امتد نفوذهم إلى المشرق وخاصة في فترة حكم أبو الحسن الذي وحد إفريقيا الشمالية من جديد بعد استرجاعه المغرب الأوسط والأدنى، وكذلك ابنه أبو عنان. وهذه الدولة هي التي أعطت المغرب الأقصى الشكل الذي استقر عليه، وقد بلغت مدينة فاس التي اتخذوها عاصمة لهم درجة عالية من الرقي والحضارة[1]؛ ولم تدم هذه الأوضاع على حالها.

ولكن لم يكن الوضع في تلك المرحلة يتميز بالاستقرار والسلم، إذ كانت تلك الفترة تتميز بالحروب والمؤامرات والدسائس والاغتيالات، إذ بعد وفاة أبو عنان تدهورت الأوضاع السياسية في البلاد. ومن العوامل التي زادت في توتر الحالة العامة قيام دولة بني عبد الواد بالقطر الشقيق، وتعتبر هذه القبيلة الزناتية أعدى عدو لبني مرين؛ ويرجع عداء كل منهما للأخرى منذ زمن طويل إلى العصبية القبلية ولأسباب اقتصادية. فقد نشب بين هاتين الدولتين حروب ونزاعات مسلحة على مرور الزمن.

وبحكم البيئة المغربية، وبحكم الجوار وعوامل دينية صرفية أصبحت في وضع يفرض عليها التكيف معه ومواجهة مشكل لا مفر منه وهو مواجهة العدو الإسباني والبرتغالي الذي أصبح من الضروري صده بعد توغله في غرناطة والأندلس، وتدخل المرينيون في الأندلس تدخلا مباشرا ومستمرا كانت له نتائج قوية بالنسبة لعمر غرناطة – آخر قاعدة إسلامية بالأندلس – ، كما بسطوا سلطانه على مملكة الحفصيين بإفريقيا. وكان هذا في عهد أبو الحسن وأبو عنان الذي عرفت فيه الدولة المرينية توسعا وتطورا و قوة.

و لكن لم يدم هذا العهد طويلا، فبعد هذه الفترة عرفت تدهور الدولة المرينية و تقهقرها و ضعف سلاطينها، فأصبح الوزراء يتدخلون في الأمور و ينصبون و يعزلون السلاطين و أصبح التدخل الأجنبي من الغرناطيين والزيانيين في أمور الدولة بعدما كانوا يستنجدون ويستفيدون من قوة المرينيين، يتآمرون ويتدخلون فيعزلون وينصبون لمصلحتهم الشخصية.

كل هذه العلا قات وخاصة مع الأندلس وإفريقية فتحت المجال للتوافد على البلد لكل من يُنْكَب أو يصاب من أجل أفكاره ونزعاته السياسية، وأصبحت دارا للضيوف يلقون فيها كثيرا من الترحيب والإكرام، ومقرا للسفارات المتواردة عليه،كما كان مسكنا لكثير من العناصر التي أرادت أن تستظل بظله، فكانت النتيجة أن أصبح التبادل ظاهرة مثمرة

[1] خليل حسين. التاريخ السياسي للوطن العربي. ط1. بيروت:منشورات الحلبي الحقوقية،2012. ص605.

استطاع بفضلها كثير من أهل المغرب أن يطلعوا على القطب الأندلسي ويشاهدوا ما يتوفر عليه من إمكانيات طبيعية وبشرية وما يزخر به من مظاهر الحضارة والرقي, فكان الاتصال أيضا بين المرينيين والمغرب الأوسط والأدنى سببا في نمو هذه المظاهر.

وقد استطاع المرينيون على القضاء على بني عبد الواد بعد تضحيات وخسائر كبيرة، وضم قطرهم إلى المغرب الأقصى، كما ضم الجزء الآخر وهو الأدنى إلى باقي أجزاء المغرب العربي، رغبة في تحقيق الوحدة الكبرى، وكانت لهذه الأخيرة الأثر الإيجابي على انتشار العلوم واتصال العلماء فيما بينهم، ولو أنهم لم يكونوا يتقيدون في ذلك الوقت بالحدود الجغرافية والسياسية في سبيل العلم. وكانت العلاقات بين دول المشرق والمغرب آنذاك وطيدة وخاصة مع مصر، بتبادل الهدايا والوفود السياسية والرحلات نحو البقاع المقدسة، فكانت تقام المناظرات والمناقشات بين العلماء المغاربة ونظرائهم المشارقة أثناء نزولهم ببلدان الشام والحجاز فيستفيدوا ويفيدوا من ذلك.

الحياة الفكرية والثقافية:

يمكن أن نقدر أن مدينة فاس كانت منذ نشأتها مركزا للعلم الإسلامي والثقافة العربية، هذا مع العلم أننا لا نملك المعلومات الدقيقة حول الموضوع. وفي واقع الأمر أن المدينة كانت معزولة من طرف العالم الإسلامي، ولم يكن ثمة على قرب معقول منها أي من مراكز الثقافة الإسلامية بحيث يمكنها من إرسال أبنائها الراغبين في تلقّي العلم. ولم تكن حال تلمسان وطنجة بأفضل من حالها. وكانت الأندلس بعيدة[1]؛ ويعود الفضل للمرينيين في جعل مدينة فاس عاصمة للفكر والثقافة في المغرب.

وقد تطورت الحياة الثقافية والفكرية في المغرب عموما، وتشكلت بذلك المدارس القرآنية أو ما يسمى حاليا الابتدائية، وفي عدد من المساجد والمدارس المتخصصة أو الكليات حاليا كانت تقدم الدروس العليا. فكانت المدارس القرآنية تستقبل الأطفال الصغار لتعلُّم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية في البداية، بحيث كان الهدف من هذه المدارس هو تعليم القرآن الكريم. ويقوم بهذه المهمة شيخاً متفرغا لها مقابل أجر معين يتلقاه من أولياء الأطفال. وفي هذه المرحلة كان المعلم يركز بشكل كبير على تلقين التلاميذ القرآن الكريم بعد تمكينهم من تعلّم القراءة والكتابة مبتدئا بتعلّم الحروف العربية قراءة وكتابة. بعدها عندما يتحسن مستوى التلميذ ويصبح قادرا على الكتابة والقراءة ينتقل المعلم إلى تلقينه قصر السور من القرآن الكريم فيكتبها له، وبالتدريج يلقنه كيف يكتب بنفسه ويصحح له الأخطاء، حتى يتمرس التلميذ ويصبح ملما بالقراءة والكتابة، وفي ذلك الحين يكون التلميذ قد حفظ قسطا من القرآن أو حتى أتمه؛ وذلك حسب ذاكرة الطفل وقدرته على الحفظ –ولا زالت هذه الطريقة تستعمل حتى وقتنا الحالي في المدارس القرآنية– وفي بعض الأحيان لم يكن الأطفال ليتمّوا الدراسة في هذه المرحلة نظرا لظروفهم المادية أو الاجتماعية أو غيرها، ومن الذين يسعفهم الحظ في إتمام حفظ القرآن كاملا، وكانت أعمار الأطفال تقريبا عندما يحفظون القرآن كاملا تتجاوز الثالثة عشر حتى السادسة عشر.

بعد مرحلة المدارس القرآنية تأتي مرحلة أخرى وفيها ينتقل الطفل إلى ما نسميه الآن الثانوي، بحيث لا يمكن لأي شخص أن يقدم الدروس في هذه المرحلة إلا بإذن من قاضي البلاد، الذي يرخص له بالتعليم بعد استشارة العلماء وأخذ رأيهم فيه، بعدها يُعلِم الشخص الذي أُذن له بالتدريس بإذاع الأمر بين الناس في المدينة، معلنا على موضوع الدروس التي يقدمها، ومشيرا إلى مكان التدريس، وعادة ما كان مسجدا أو زاوية أو غير ذلك، وكان وقت التدريس دائما خارج أوقات الصلاة. وكان نجاح المدرس مرتبطا بكفاءته وقيمة دروسه التي يقدمها للطلبة، وعدد طلابه ومؤيديه. وفي هذه المرحلة كانت الدولة تشرف على التدريس فيها ولا تنظمها، وفيها يستطيع التلميذ أو الطالب الإلمام بالنحو والتجويد والفقه وغيره. ولم تكن لهذه المرحلة معايير أو مقاييس لإتمامها، فمتى أحس الطالب أو أبوه بأنه نهل نصيبا من العلم، ينتقل إلى المرحلة الأعلى وهي ما تسمى الآن عندنا بالتعليم العالي.

في مرحلة التعليم العالي ظهر جليا بأن بني مرين كان لهم الفضل الكبير في الاهتمام بهذا الجانب فهم الذين أسسوا جامعة فاس تأسيسا حقيقيا، وهذا يدل على اهتمامهم بالعلم، وأقاموا العديد من المدارس وخاصة في العاصمة فاس، ليجعلوها عاصمة الفكر والثقافة الرئيسية إضافة إلى الاقتصاد والسياسة، وقد أنشأوا المدارس للطلاب ومعها المساكن بحيث أصبح بإمكان الطلبة المقيمين خارج المدن وحتى البلاد المغربية الاستفادة من الدروس والتكوين بتوفير الإقامة والإطعام والإيواء وحتى اللباس. وفي هذه الفترة شهد المغرب تطور التيار الصوفي، وبدؤوا يتدخلون في السياسة فلجأت السلطة آنذاك إلى جمعهم في المدينة –طلبة سكان الأرياف– وأخضعوهم لنظام معين وإلى قواعد السنة. "وعلى كل حال فإن وجود عدد لا يستهان به من الشبان، وكان عددهم بضع مئات في أواسط القرن الثامن الآتين من المناطق الرئيسية من المغرب كان مظهرا جديدا في فاس لكنه لم يلبث أن أصبح كبير الأهمية"[2]. وقد أدت هذه السياسة التي انتهجتها السلطة آنذاك في استقطاب العديد من الشباب والطلاب الذين يرغبون في تلقي العلوم، وأدى ذلك إلى تنشيط الحركة العلمية وارتفاع مستوى التحصيل وصارت قطبا من أقطاب المعرفة. وقام المرينيون بإنشاء المدارس قرب الجامع الكبير في فاس لإبرازها كمركز ثالث للعلم ينافس جامع القرويين والأندلس، وأنشئت كذلك مدرسة للقراءات السبع وهذا يدل على بدء مرحلة التخصص في العلوم. وكان الأساتذة يكونون هيئة من العلماء أصبح لها دورا كبيرا في الحياة العامة الفكرية والدينية وحتى السياسية في المغرب، وكانت الهيئة تضم مختلف الأطياف والطبقات المجتمعية من السكان، متضامنين بينهم ومتّحدين لتطوير الفكر والعلم في البلاد، ولم يكونوا يتقاضون مرتبات ثابتة وإنما يستفيدون من الهبات والهدايا التي يقدمها لهم السكان والحكومة في المناسبات الدينية والوطنية، ومن بين العلوم التي كانت تدرس في هذه الفترة نظرا لتطور الحياة الفكرية في البلاد نجد العلوم العقلية والنقلية كالطب والفلك والكيمياء وحتى علم النبات، والعروض والأدب والمواريث والفقه وغيرها من التخصصات. وبعد كل هذا الازدهار في الحركة المعرفية والعلمية أصبح الطلاب يتوافدون من كل الجهات المغربية وحتى من البربر الذين يحسنون العربية، نظرا لتوفر كل

[1] أنظر: روجيه لوتورنو. فاس في عصر بني مرين. تر. نقولا زيادة. بيروت: مكتبة لبنان، 1967 . ص167

[2] أنظر تاريخ مدينة فاس، ص174.

الشروط الضرورية لطلب العلم من مأكل ومبيت وملبس وحتى مساعدات مالية كانت تقدم من طرف الدولة. ولم يكن الطلبة آنذاك يشاركون في الأمور السياسية المناهضة للسلطة، لأن الدولة فرضت عليهم هذا الأمر، وإلا فالذي يخالف هذه الضوابط يتعرض للطرد.

عندما يتم الطالب دراسته يصبح له الاختيار حسب طموحاته ومواهبه ورغباته؛ فهناك من يلتحق بالسياسة وخدمة الدولة، وهناك من يمتهن التدريس أو القضاء، وهناك من يمارس مهنة آبائه وأجداده مثل التجارة وغيرها. وكان أكثر الغرباء يلتحقون بمدنهم لممارسة التدريس أو القضاء.

بالإضافة إلى الجامعة كان هناك مركزا آخر للفكر والعلم وهو البلاط، فقد كان بعض الأمراء المرينيون علماء من أمثال أبي الحسن وأبي عنان، وكان اهتمامهما كبيرا بالحياة الفكرية والعلمية؛ وقد كان الأمراء يجمعون العلماء والأدباء كل صباح ليتدارسوا في كل يوم موضوع من المواضيع الدينية أو الأدبية أو غيرها، وكانوا ينظمون المناظرات والمسابقات الشعرية وغيرها ويغدقون العطايا على الأحسن الذي تنتقيه لجنة التحكيم المتكونة من العلماء والأدباء التابعين للبلاط. وقد كان السلاطين المرينيون يشجعون على كتابة التاريخ، وخير دليل على ذلك عبد الرحمان بن خلدون[1] ولسان الدين بن الخطيب[2].

ومع هذا الازدهار الفكري والمعرفي، ازدهرت في المقابل حركة موازية من المشعوذين والمتصوفة المنحرفين الذين شوهوا التراث ودسّوا دسائسهم لتحريفه وخدمة مصالحهم على حساب الأمة والدين.

تقديم المخطوط:

عنوان المخطوط الذي قمت بتحقيقه و دراسته هو: شرح الخزرجية في علم العروض والقافية[3]. ويتناول بالشرح والتفصيل القصيدة الخزرجية لمؤلفها أبي الحسن علي بن مُحَمَّد الخزرجي، والتي تتكون من ست وتسعين بيتا تطرق فيها مؤلفها لعلم العروض والقافية بصفة عامة، متناولا الأبحر الشعرية . والقوافي عن طريق الشعر، وهذه الطريقة كانت متداولة في القرون الماضية عند العلماء العرب. وقد قام مؤلف المخطوط بشرح أبيات هذه القصيدة كل بيت على حدة معتمدا على علمه وكفاءته في هذا المجال.

المؤلف:

هو أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي الشهير بالزموري المتوفى سنة 852هـ_1448م وهناك اختلافات في سنة وفاته فهناك من يشير إلى أنه توفي سنة 816هـ_1413م[4]، ولكن الصحيح أنه فرغ من تأليف المخطوط في هذه السنة[5]

معلومات حول المخطوط:

نوع الخط: مغربي.

عدد النسخ: نسختين.

عددالأسطر:27سطرا في النسخة أ، و20سطرا في النسخة ب.

عدد اللوحات:33 لوحة في النسخة أ، 64 لوحة في النسخة ب.

مكان تواجد النسخ: المكتبة الوطنية الجزائرية.

الناسخ: المصطفى بن الطاهر المشرفي بالنسبة للنسخة أ، أما بالنسبة للنسخة ب فناسخها مجهول.

الموضوع: العروض.

حالة المخطوط:جيدة، ومقروءة.

تاريخ النسخ: سنة 1225هـ بالنسبة للنسخة أ، أما بالنسبة للنسخة ب فتاريخ نسخها مجهول.

رقم المخطوط:2453 بالنسبة للنسخة أ، و ح 29 د بالنسبة للنسخة ب.

---

[1] هو عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن خلدون، ولد في تونس عام 732هـ وفيها نشأ وتلقى العلوم المختلفة، تقلد عدة مناصب سياسية وعلمية منها أمين السر عند السلطان أبي سالم المريني، وخدم أيضا في البلاط الأندلسي، ودرس في مصر. توفي سنة 808هـ، من مؤلفاته: "الرحلة"، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر" المعروف بالمقدمة وغيرها. انظر: عبد الرحمان بن خلدون. الرحلة. تح. مُحَمَّد بن تاويت الطنجي. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2009؛ يوسف فرحات. الفلسفة الإسلامية وأعلامها. ط1. جنيف: تراكسيم، 1986، صص 189-190.

2 هو لسان الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، ولد سنة 713هـ وانتقلت عائلته إلى غرناطة وفيها درس الطب والفلسفة والشريعة والأدب، تولى الوزارة بالأندلس وبعد فتنة انتقل إلى المغرب حيث مات قتيلا سنة 776هـ. له عدة مؤلفات منها: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، "أعمال الأعلام" وكتب في الطب وغيرها. انظر: يوسف فرحات. علماءالعرب. جنيف: تراكسيم، [د.ت]، ص 208؛ عبد المحسن طه رمضان. تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة. ط1.عمان: دار الفكر موزعون وناشرون، 2011، صص 444-445؛ عبد الرحمان بن خلدون. التاريخ. ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2011 . مج4 ، ص2970.

[3] أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي. شرح الخزرجية في علم العروض والقافية. مخطوط بالمكتبة الوطنية .

[4] انظر: مُحَمَّد حجي. موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996

[5] أنظر: كارل بروكلمان. تاريخ التراث العربي. القاهرة: دار المعارف، [د.ت]. ج5. ص361.

بداية المخطوط:قال الأديب العروضي أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي أما بعد حمدا لله تعالى بأشرف محامده وأكمل الصلاة على سيدنا مُحَمَّد.

نهاية المخطوط: ويعصمنا من الزلل ويجعل خير أعمالنا خواتمها وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد و آله وصحبه وسلم تسليما.

لون المداد:أسود،أحمر.

هذا باختصار وجيز الوصف المادي للمخطوط، أو الفهرسة الموجزة للمخطوط الذي قمت بتحقيقه.

القيمة العلمية للمخطوط:كما سبق وذكرت في موضوع المخطوط، وأشرت إلى أنه يتناول علم العروض بالدراسة والتفصيل. بحيث اعتمد المصنف في مخطوطه لشرح أبيات القصيدة على علمه الواسع بالموضوع. كما تطرق إلى النقائص التي استخلصها واستنتجها من خلال نقده للشروحات السابقة، باعتبار أن للقصيدة الخزرجية شروحات كثيرة .

وقد اعتمد كثيرا على كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، وعلى علم الخليل بن أحمد الفراهدي مؤسس علم العروض، في المقارنة والتحليل، إضافة إلى أقوال وآراء السرقسطي والزجاج وغيرهما. وكل هذا تطرقت إليه بالتفصيل والشرح في عملي هذا. إذ يزود هذا الأخير الباحثين والمختصين والطلبة على حد سواء، بالمعلومات الكافية وينير لهم الطريق في كشف خبايا هذا العلم الواسع والمتشعب –علم العروض–. ويميط اللثام عن كنز علمي كان مغمورا، وقدمته في حلة جديدة يستفيد ويفيد منها الطالب والشغوف بهذا العلم على حد السواء.

وقد قام المؤلف بتبسيط شرح أبيات القصيدة بأقصى قدر ممكن، بحيث اعتمد في شرحه كثيرا على الأمثلة بالأبيات الشعرية وتقطيعها، وشرح المبهم منها ليفهمها الخاص والعام، وخصص لكل بيت شروحات وأمثلة لكي لا يتعسر على قارئها، حتى ولو لم يكن متخصصا أن يفهمها.

المنهج المتبع في التحقيق:

وككل بحث علمي أكاديمي، على الباحث فيه أن يتقيد بالخطوات المنهجية العلمية المتبعة، لإتمام البحث بطريقة سليمة وعلمية ؛ كان لابد علي أن أتبع الخطوات التي استقيتها وأخذتها عن أساتذتي خلال السنة النظرية، وكذلك من خلال المراجع التي اطلعت عليها، والتي تتناول مناهج تحقيق المخطوطات ككتاب تحقيق النصوص ونشرها للمحقق الأستاذ عبد السلام هارون، أو كتاب تحقيق المخطوطات للدكتور عبد الله عسيلان، أو كتاب مُحَمَّد صلاح المنجد. وغيرهم من رواد التحقيق العرب من أمثال شوقي بنبين، وإحسان عباس، والقائمة طويلة.

إذ يتفق الجميع على أن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات، يستوجب على المحقق أن يكون ملما وعارفا بفهارس المخطوطات، وكذا المصادر التي تدل على مكان تواجدها والتي لا تكاد تخلو مكتبات العالم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة من هذه المراجع والمصادر. وبما أنني أتحدث عن منهجي المتبع في تحقيق مخطوطي هذا. فقد اعتمدت على الفهارس المتواجدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وبفضل من الله وفقت في إيجاد نسختين من المخطوط الذي قمت بتحقيقه، وكانت النسختين كما أشرت سابقا مسجلتين في المكتبة الوطنية ومتوفرتين تحت رقم:2453 و ح 29 د على التوالي. وللإشارة لم ألق أي صعوبة في الحصول على النسختين.

بعد الاطلاع على الفهارس وجمع النسخ، قمت بترتيب النسخ حسب قيمة النسخ وقربها إلى مؤلفها، فترتيب النسخ يكون حسب قدمها، وتمامها بحيث لابد أن تكون النسخة المعتمدة كأصل تامة غير ناقصة لكي تعتمد في المقابلة. وفي هذه المرحلة اعتمدت على النسخة رقم 2453 واعتبرتها النسخة الأم ، وأشرت إليها بالحرف (أ) ، وذلك لتوثيقها وقدمها مقارنة مع النسخة الثانية والتي أشرت إليها بالحرف (ب).

تأتي بعد مرحلة الجمع والترتيب مرحلة مهمة، وهي نسبة المخطوط إلى صاحبه وفي هذه المرحلة وجدت ما يشير إلى أن المخطوط لصاحبه حيث أن الكثير من المصادر والمراجع التي اطلعت عليها، تشير أن الصنهاجي له شرح للقصيدة الخزرجية ومن المصادر نذكر تاريخ الأدب لبروكلمان.

ثم بعد هذه المراحل، تأتي مرحلة المقابلة بين النسخ وهنا وجب علي الالتزام بالأمانة العلمية . إذ أن التحقيق هو إخراج النص كما أراده صاحبه، لذا لم أغير أو أتصرف مع المخطوط كما أشاء، بحيث كتبت النص أو المتن كما وجدته في النسخة، وأشرت إلى الاختلافات في الهامش. وأشرت إلى الاختلافات و الفروقات في الهامش، لأن المخطوط الذي اعتمده أصلا، يوجد به بعض الخروم والتي أشرت إليها في الهامش بعد مقارنتها مع النسخة الثانية.

بعد المقابلة تأتي مرحلة مهمة من مراحل التحقيق، وهي الدراسة، بحيث قمت في هذه المرحلة بكتابة الحروف وبعض الكلمات كما أصبحت تكتب الآن ، فمثلا نجد الفاء تكتب في المخطوط نقطة أسفلها، والقاف تكتب فاء. فقد كتبتها كما نكتبها في عصرنا الحاضر، كذلك بالنسبة لبعض أسماء الأعلام كعثمان تكتب في المخطوط بدون ألف. وهذه تعتبر أخطاء في عصرنا، كذلك الأمر بالنسبة لذلك تكتب في المخطوط ذلك، وهناك أخطاء أخرى هي الآن عندنا أخطاء في عصرنا، لم تكن عندهم في عصره أخطاء.

إضافة إلى تصحيح الأخطاء الإملائية، قمت بترقيم الصفحات ووضع العناوين ، كما لاحظت أيضا أن الناسخ لا ينقط عادة الأحرف الأخيرة من الكلمات ، وهذا ما يحدث لبسا على القارئ في عصرنا الحاضر، لذا علي كذلك الاهتمام بهذا الأمر وتنقيط هذه الحروف. كذلك الأمر بالنسبة للهمزة التي تكتب على الألف أو الواو أو الياء ، إذ رأيت أنهم لا يهتمون بكتابتها ، وهذا يعتبر أيضا خطأ في عصرنا ، لذا استوجب علي الاهتمام بهذا الأمر كذلك.

أما بالنسبة للأبيات الشعرية، فلم أجدها مرتبة في قالبها الشعري كما هو معمول به في أدبنا الحديث، إذ لا يمكن للقارئ البسيط أن يفرق بين ما هو شعر وما هو نثر في هذا المخطوط الذي أتناوله ، إلا بثلاث نقط على شكل مثلث بين البيت والآخر أحيانا ، وأحيانا أخرى لا يفرق بينها . لذا توجب علي إخراج الأبيات الشعرية في قالبها الحداثي الذي يميز بين الشعر والنثر من خلال المشاهدة فقط للتفريق بينهما.

وفيما يخص الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، فقمت بضبطها وتشكيلها، إضافة إلى ذكر رقم الآيات وإسناد الأحاديث إلى رواتها، وذلك لإثباتها وتوكيدها. وأما الأبيات الشعرية والتي هي كثيرة في هذا المخطوط، فبذلت قصارى جهدي لنسبتها إلى قائليها، بحيث هناك من الأشعار من نسبها المؤلف إلى قائليها

بالإضافة إلى ذلك قمت بشرح الكلمات المبهمة، وكذلك أمر مهم قمت به وهو ترجمة الأعلام المذكورين في المخطوط.

بعد هذه المراحل التي اختصرتها بإيجاز، أعددت فهرس الموضوعات وكشافات للآيات القرآنية، وللأحاديث النبوية الشريفة، وكشافات للأعلام.

وفي المرحلة الأخيرة من التحقيق تأتي المقدمة كثمرة نجاح إتمام العمل ، وهي كذلك ليس بالعمل الهين والسهل، فهي مرآة المحقق، و منها يحكم على عمل المحقق إن كان ناجحا في المستوى أو دون ذلك، لأن فيها يقدم المحقق صورة مصغرة أو موجزا لعمله ولمجهوده الذي ربما يطول لسنوات . فإذا استطاع المحقق أن يستصيغ مقدمة ناجحة وتامة، تم بها عمله على أحسن وجه، وإن كان العكس، فكذلك بالنسبة لعمله أو لتحقيقه . والمقدمة في الكتاب المحقق تختلف عن نظيرتها في الكتاب المؤلف، لأن في الأخيرة يقوم فيها المؤلف بتحديد الإشكالية ، والفرضيات، وغيرها من الأمور الأخرى. أما المقدمة في الكتاب المحقق فهي بمثابة بطاقة فنية للمخطوط وتعريف به وبمؤلفه وبمنهجه ومنهج محققه.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في إحياء جزء من تراث أمتنا العربية الإسلامية، وقدمت صنيعا جميلا للغتنا الأم لغة القرآن، وأتمنى أن لا يكون آخر عمل في هذا الميدان الشاق الشيق ، الذي يبدو صعبا ، لكن له سحره الخاص الذي يجلب إليه من يقترب منه ، ليجعله مولعا به لا يستطيع الاستغناء عنه .إنه فعلا تخصص يستحق بذل المزيد من الجهود للتمكن منه وفك شفراته وإيصال صوت علمائنا الذين أنتجوا ما أنتجوه ، رغم الإمكانيات الضئيلة المتوفرة في ذلك الزمان. تحية تقدير وعرفان وإجلاء لعلمائنا القدامى وأسلافنا، ووصية لنا ولأخلافنا بالحفاظ على هذا التراث وإحيائه.

الببليوغرافيا:

المخطوطات:

أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي. شرح الخزرجية في علم العروض والقافية. مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2453 و ح 29 د

المراجع:

خليل حسين. التاريخ السياسي للوطن العربي. ط1. بيروت:منشورات الحلبي الحقوقية، 2012.

روجيه لوتورنو. فاس في عصر بني مرين. تر. نقولا زيادة. بيروت: مكتبة لبنان، 1967 .

عبد الرحمان بن خلدون. التاريخ. ط1. بيروت: دار ابن حزم ،2011. مج4.

عبد الرحمان بن خلدون. الرحلة. تح. مُحَمَّد بن تاويت الطنجي. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2009.

عبد المحسن طه رمضان. تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة. ط1. عمان: دار الفكر موزعون وناشرون، 2011.

كارل بروكلمان. تاريخ التراث العربي. القاهرة: دار المعارف، [د.ت]. ج5.

مُحَمَّد حجي. موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996

يوسف فرحات. الفلسفة الإسلامية وأعلامها. ط1. جنيف: تراكسيم، 1986.

يوسف فرحات. علماء العرب. جنيف: تراكسيم، [د.ت].